



رابطة العالم الإسلامي

الأمانة العامة

الإدارة العامة للمؤتمرات والمنظمات

عالمية الثقافة الإسلامية في عصر العولمة

إعداد

الدكتور محمد الأمين سيد المختار شعيب

الأمين العام لجامعة عبد الله بن ياسين - موريتانيا

مقدم إلى مؤتمر مكة المكرمة الخامس عشر

الثقافة الإسلامية.. الأصول والمواصلة

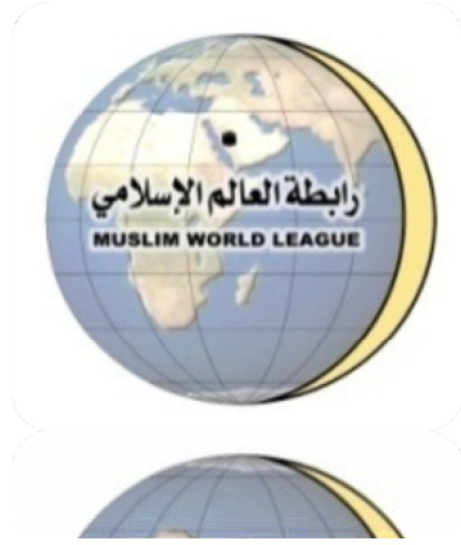
الذي تنظمه

رابطة العالم الإسلامي

مكة المكرمة

٤-٦ / ذو الحجة / ١٤٣٥ هـ

٢٨-٣٠ / سبتمبر / ٢٠١٤ م



رابطة العالم الإسلامي

مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية

صندوق البريد (٥٣٧) أو (٥٣٨) مكة المكرمة (٢١٩٥٥)

هاتف: ٠٠٩٦٦١٢٥٦٠٠٩١٩ - الفاكس: ٥٦٠١٣١٩-٥٦٠١٢٦٧

برقياً: رابطة - مكة، تليكس: ٥٤٠٠٠٩ و ٥٤٠٣٩٠

www.themwl.org

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد

فإن الحديث عن «عالمية الثقافة الإسلامية في عصر العولمة» حديث طويل،
يستدعي الكثير من البحث، وي طرح العديد من الأسئلة والإشكالات التي قد لا
تكون الإجابة عنها بذلك القدر من السهولة والبداهة التي تبدو للباحث منذ
الوهلة الأولى.

ولعل السؤال والإشكال المحوري الذي تتركز عليه الأسئلة والإشكالات
الأخرى هو: ما مدى قدرة الثقافة الإسلامية على امتلاك مقومات العالمية في
عصر العولمة؟

وكيف يمكننا أن نوظف الجوانب الإيجابية من العولمة - كتطور وسائل
الاتصال وتكنولوجيا المعلومات - في التمكين لهذه الثقافة بوصفها ثقافة عالمية
تتجاوز الأطر المحلية والإقليمية الضيقة؟

وهل يمكن الحديث عن ثقافة إسلامية معولمة، أو عالمية الثقافة
الإسلامية؟

وكيف نحمي الثقافة الإسلامية من سيل العولمة الجارف؟

وإلى أي مدى يمكن بناء ثقافة إسلامية تستجيب لمتطلبات العصر
وتستمسك بثوابت الأمة وتلبي حاجيات الفرد والمجتمع المتجددة؟

وأية ثقافة إسلامية نريد؟

هل ثقافة إسلامية منغلقة على نفسها تكفر بكل جديد وترى فيه خطراً يهدد كيان الأمة وثوابتها وكيونتها الحضارية؟

أم ثقافة منفتحة على الآخر مسائرة للركب وموائمة للعصر، ترى في كل جديد فتحاً يجب الأخذ به والسير على منواله حتى ولو اقتضى الأمر تقليد الآخر - وهو الغرب في أغلب الأحيان - وفي كل جوانب ثقافته شبراً بشبر أو ذراعاً بذراع؟

أم ثقافة تستمسك بالأصل، وترتبط بالعصر، تنتقي من الثقافات ما لا يتعارض مع منظومة قيمها ومرجعياتها؟

أسئلة وإشكالات تطرح نفسها في هذا الموضوع، سنحاول أن نقدم إجابة أولية عنها، نأمل أن تشكل إثارة للموضوع لعلها تلفت انتباه الباحثين ليمنحوها ما تستحق من العناية والاهتمام.

وستكون خطة العمل في هذا البحث من عدة محاور:

المحور الأول: يحدد المفاهيم الأساس لهذا الموضوع، مثل مفهوم الثقافة، والثقافة الإسلامية، ومفهوم العولمة وعولمة الثقافة الإسلامية.

المحور الثاني: للحديث عن خصائص الثقافة الإسلامية ومميزاتها الرئيسية.

المحور الثالث: عن مقومات عالمية الثقافة الإسلامية.

ثم نختم بخلاصة وتوصيات.

أولاً: مفاهيم الدراسة:

مفهوم الثقافة:

مع أن مصطلح الثقافة معروف ومتداول في اللغة العربية منذ القدم، إلا أن استخدامه وتداوله برز بشكل كبير كمرادف للفظ اللاتيني «Culture» والذي يعني: حرث الأرض وزراعتها، وقد ظهر هذا المفهوم في أوروبا، وكان يشير فيما يشير إليه إلى عملية الاستصلاح أو تحسين المستوى، كما هو الحال في عملية الزراعة، وفي القرن التاسع عشر، أصبح يشير بصورة واضحة إلى تحسين أو تعديل المهارات الفردية للإنسان، عن طريق التعليم والتربية، وتحقيق قدرٍ من التنمية العقلية والروحية للإنسان.

ويعتبر عالم الأنثروبولوجيا البريطاني إدوارد بيرنت تايلر E.B. Tylor واحداً من أول العلماء الذين استخدموا مصطلح الثقافة بالمعنى الواسع العالمي، وذلك في كتابه الذي صدر عام ١٨٧١م بعنوان: «الثقافة البدائية»، حيث عرّف الثقافة بأنها: «الكل المركب الذي يشمل المعرفة والعقيدة، والفن، والأخلاق، والقانون، والعرف، وكل القدرات والعادات التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضواً في المجتمع»^(١).

وعرّفت الثقافة في المعجم الفلسفي بأنها «كل ما فيه استثارة للذهن وتهذيب للذوق وتنمية لمملكة النقد والحكم لدى الفرد أو في المجتمع، وتشمل المعارف والمعتقدات والفن والأخلاق وجميع القدرات التي يُسهم بها الفرد في مجتمعه،

(١) مجموعة من الكتاب، نظرية الثقافة، ترجمة علي سيد الصاوي، سلسلة عالم المعرفة، يوليو

ولها طرق ونماذج عملية وفكرية وروحية، ولكل جيل ثقافته التي استمدتها من الماضي وأضاف إليها ما أضاف في الحاضر، وهي عنوان المجتمعات البشرية»^(١).

وفي سنة ١٩٨٢؛ عقدت منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) مؤتمراً عالمياً حول الثقافة في العاصمة المكسيكية، صدر عنه إعلان مكسيكو للثقافة الذي عرّف الثقافة بأنها: «مجموع السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمعاً بعينه أو فئة اجتماعية بعينها، وهي تشمل الفنون والآداب وطرائق الحياة، كما تشمل الحقوق الأساس للإنسان ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات»^(٢).

وغير بعيد من هذا المعنى كان تعريف الثقافة لدى المنظمتين العربية والإسلامية للتربية والثقافة والعلوم.

هذا عن مفهوم الثقافة بشكل عام، فماذا عن الثقافة الإسلامية على وجه الخصوص؟

١ - الثقافة الإسلامية

تعرّف الثقافة الإسلامية بأنها: «جملة العقائد والتصورات، والأحكام والتشريعات، والقيم والمبادئ، والعوائد والأعراف، والفنون والآداب، والعلوم والمخترعات، التي تشكل شخصية الفرد وهوية الأمة وفق أسس وضوابط الإسلام».

(١) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الفلسفي، ص ٥٨.

(٢) الرميحي، محمد، واقع الثقافة ومستقبلها في الخليج العربي، المستقبل العربي، العدد ٤٩، مارس ١٩٨٣، ص ٤٤.

وتُعرّف بأنها: «منهج الحياة التي يحيها المسلمون في جميع مجالات حياتهم وفقاً للإسلام وتصوراتهِ»^(١)، وبذلك تشمل العلم والعمل والفكر والسلوك القائم على الإسلام وتعاليمه وتوجيهاته.

ويرى فريق ثالث أنها: «مجموعة الصفات والخصائص النفسية والعقلية والفكرية والخلقية والسلوكية التي تتميز بها الشخصية الإسلامية، المكتسبة من معرفة مقومات الأمة الإسلامية العامة، ومقومات الدين الإسلامي والمستفادة من القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، واجتهادات العلماء والمفكرين الإسلاميين، والمتفاعلة مع واقعنا المعاصر تأثيراً وتأثراً»^(٢).

٢- مفهوم العولمة:

لا يوجد استخدام قديم لمصطلح العولمة في اللغة العربية، والموجود لفظ «العالم»، و«العالمي»، ويعود استخدامها في عصرنا إلى ترجمة للمصطلح الإنجليزي (Globalization) ويترجمه البعض بالكونية أو الكوكبية، إلا إن مصطلح العولمة هو أكثر الترجمات شيوعاً بين أهل السياسة والاقتصاد والإعلام.

وتحليل الكلمة بالمعنى اللغوي إلى تعميم الشيء وإكسابه الصبغة العالمية وتوسيع دائرته ليشمل العالم كله. يقول «د. عبد الصبور شاهين» عضو مجمع اللغة العربية: «فأما العولمة مصدراً فقد جاءت توليداً من كلمة عالم ونفترض لها فعلاً هو عولم يعولم عولمة بطريقة التوليد القياسي... وأما صيغة الفعللة التي تأتي منها العولمة فإنما تستعمل للتعبير عن مفهوم الأحداث والإضافة،

(١) صالح هندي، دراسات في الثقافة الإسلامية، ص ١٩.

(٢) محفوظ عزام، نظرات في الثقافة الإسلامية، ص ٣٠.

وهي مماثلة في هذه الوظيفة لصيغة التفعيل»^(١).

ويعتبر العالم الكندي «مارشال ماك لوهان» - من جامعة تورنتو - أول من أشار إلى مصطلح العولمة عندما صاغ في نهاية عقد الستينيات مفهوم القرية الكونية، ثم تبعه «زيبغنيو بريجينسكي» مستشار الرئيس الأمريكي كارتر (١٩٧٧م - ١٩٨٠م) الذي أكد على ضرورة أن تقدم أمريكا - التي تمتلك ٦٥٪ من المادة الإعلامية على مستوى العالم - نموذجاً كونياً للحدثة، يحمل القيم الأمريكية في الحرية وحقوق الإنسان^(٢)، وانتشر استخدام مصطلح العولمة بعد ذلك في كتابات سياسية واقتصادية عديدة في العقد الأخير، وذلك قبل أن يكتسب المصطلح دلالات استراتيجية وثقافية مهمة من خلال تطورات واقعية عديدة شهدها العالم منذ أوائل التسعينات.

ومع أن مصطلح العولمة أصبح متداولاً بشكل كبير؛ إلا أنك لا تجد تعريفاً جامعاً مانعاً لهذا المصطلح، وذلك لغموض المفهوم من جهة، ولاختلاف وجهة الباحثين وتعدد مشاربهم ورؤاهم واختصاصاتهم من اقتصاديين واجتماعيين وإعلاميين من جهة أخرى، ففي الوقت الذي ينظر إليها البعض باعتبارها ظاهرة اقتصادية يراها آخرون تعبيراً مركزاً عن الهيمنة الأمريكية، ويذهب فريق آخر إلى وصفها بالثورة التكنولوجية والاجتماعية.

أ- العولمة كظاهرة اقتصادية:

يُعرّف الصندوق الدولي العولمة بأنها: «التعاون الاقتصادي المتنامي لمجموع دول العالم، والذي يحتمه ازدياد حجم التعامل بالسلع والخدمات

(١) عبد الصبور شاهين، «العولمة جريمة تزويب الأصالة»، المعرفة، العدد (٤٨).

(٢) العظم، صادق جلال: ماهي العولمة، المرجع السابق.

وتنوعها عبر الحدود، إضافة إلى رؤوس الأموال الدولية والانتشار المتسارع للتقنية في أرجاء العالم كله»^(١).

وعند صادق العظم هي: «حِقبة التحول الرأسمالي العميق للإنسانية جمعاء، في ظل هيمنة دول المركز وبقيادتها وتحت سيطرتها، وفي ظل سيادة نظام عالمي للتبادل غير المتكافئ»^(٢).

فعولمة الاقتصاد بهذا المعنى هي جعل النظام الاقتصادي واحداً في العالم كله، وإزالة الأنظمة الاقتصادية الأخرى، وهذا يستتبع بطبيعة الحال توحيد الشروط والأنظمة الاقتصادية، وإزالة العوائق عن حركة رؤوس الأموال والاستثمارات، وتوجيه الأسواق في جميع الدول، لتعمل وفق نظام عالمي واحد.

ب- العولمة والهيمنة الأمريكية:

يرى محمد عابد الجابري: أن العولمة هي: «العمل على تعميم نمط حضاري يخص بلداً بعينه هو الولايات المتحدة الأمريكية على بلدان العالم أجمع»^(٣)، وبهذا تكون العولمة دعوة إلى تبني إيديولوجية معينة تعبر عن إرادة الهيمنة الأمريكية على العالم، ويعبر المفكر الأمريكي «فرانسيس فوكوياما» صاحب كتاب «نهاية التاريخ» عن هذا الاتجاه، فيرى أن نهاية الحرب الباردة

(١) عمرو عبد الكريم، «العولمة: عالم ثالث على أبواب قرن جديد»، المنار الجديد، العدد الثالث.

(٢) العظم، صادق جلال: ما هي العولمة؟ بحث مقدم للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٩٦م.

(٣) محمد عابد الجابري، العولمة والهوية الثقافية، مقال منشور بمجلة المستقبل العربي، العدد

تمثل المحصلة النهائية للمعركة الإيديولوجية التي بدأت بعد الحرب العالمية الثانية بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية، وهي الحقبة التي هيمنت فيها التكنولوجيا الأمريكية.

ج- العولمة ثورة تكنولوجية واجتماعية:

يرى أصحاب هذا الرأي أن العولمة هي: «الاتجاه المتنامي الذي يصبح به العالم نسيجاً كرة اجتماعية بلا حدود، أي أن الحدود الجغرافية لم يعد لها معنى مع شيوع استعمال الأقمار الاصطناعية، والانفجار المعرفي، وثورة المعلومات والاتصالات التي قلصت المسافات بين مناطق العالم، وهو ما تعزز مع استخدام الإنترنت، وشيوع القنوات والمحطات الفضائية».

٣- عولمة الثقافة الإسلامية أو عالميتها:

هي محاولة مجتمع معين تعميم نموذج الثقافة على المجتمعات الأخرى بوسائل سياسية، واقتصادية، وثقافية، وتقنية^(١).

ويرى بعض الباحثين أن العولمة الثقافية هي الهدف النهائي، وما العولمة الاقتصادية والسياسية إلا وسائل للوصول إلى هذا الهدف، وأن منزلة الثقافة من العولمة بمنزلة الرأس من الجسد.

ويشير البعض إلى أن التوجه نحو عولمة الثقافة بدأ مع ظهور منظمة (اليونسكو) بذاتها التي أنشئت كما يقول أول مدير عام لها جوليان هكسلي: «لكي تُساعد في خلق ثقافة عالمية موحدة تنطوي على تصور فلسفي خاص

(١) وهو تعريف عبد الله أحمد أبو راشد، انظر: العولمة والنظام العالمي والشرق أوسطية،

وخلفية معينة من الأفكار وخطط طموحة، فهي تهدف إلى بلورة أيولوجية عالمية^(١).

أما عالمية الثقافة الإسلامية - وهي العبارة التي اعتمدها واعتبرناها أكثر دلالة على المعنى الذي نريد هنا - فنعني بها نشر الثقافة الإسلامية والتمكين لها بكل الوسائل المتاحة لتصبح ثقافة العالم الرئيسة.

وقد استخدمنا مصطلح «عالمية الثقافة الإسلامية» بدلاً عن «عولمة الثقافة الإسلامية» لاعتبارات، منها:

١ - أصالة مصطلح العالمية والذي ورد بشكل أو بآخر أكثر من مرة في القرآن الكريم، مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

٢ - أن مصطلح العولمة يحيل إلى معنى الإكراه والفرص، وهو ما يناهض طبيعة الإسلام القائم على حرية الاختيار، واحترام الخصوصيات الثقافية للأمم والشعوب.

٣ - الفرق الواضح بين عالمية الثقافة الإسلامية وظاهرة العولمة في عصرنا الحالي، ذلك أن عالمية الثقافة الإسلامية لم تدفع الأمة المسلمة في يوم من الأيام إلى فرض ثقافتها بالقوة على الآخرين؛ لأن العالمية «طموح إلى الارتفاع بالخصوصية إلى مستوى عالمي، فهي تفتُّح، أما العولمة فهي اختراق ثقافي بالقوة المادية للقضاء على نواة الثقافة المغايرة»^(٢).

(١) العرب واليونسكو، لحسن نافعة، ص ٤٨.

(٢) انظر: العولمة والهوية الثقافية لمحمد عابد الجابري، مقال منشور بمجلة المستقبل العربي،

هكذا تبدو العولمة بمستوياتها المختلفة، وعولمة الثقافة بوجه خاص، كأبرز تحدٍّ تواجهه الثقافة الإسلامية اليوم، وهو ما يفرض علينا التفكير ملياً في سبل مواجهة هذا التحدي وبكل الوسائل المتاحة، حتى نمكّن لهذه الثقافة ونحقق لها الريادة التي تستحقها، فهل نحن قادرون على ذلك؟ وهل تمتلك الثقافة الإسلامية من الميزات والمقومات ما يؤمّن لها تحقيق ذلك الهدف؟

ثانياً: خصائص الثقافة الإسلامية ومقومات عالميتها:

قبل الحديث عن مقومات عالمية الثقافة الإسلامية؛ لا بد من الإشارة إلى خصائص هذه الثقافة ومميزاتها الرئيسية، وذلك لمعرفة مدى قوة هذه الثقافة وقدرتها الفائقة على الاستيعاب.

١ - خصائص الثقافة الإسلامية:

تمتاز الثقافة الإسلامية عن غيرها من الثقافات بمجموعة من المزايا والخصائص، لعل أبرزها ما يلي:

أ- ربانية المصدر والوجهة: فالمصدر الرئيس للثقافة الإسلامية هو القرآن الكريم والسنة النبوية واجتهادات علماء الأمة، ولا شك أن ثقافة تستمد روحها من هذه المصادر؛ جديرة بأن يكتب لها الخلود وأن تحقق الريادة، وهي مختلفة تمام الاختلاف عن الثقافات الأخرى بشرية المنزع والهوى.

كما أن الغاية الأولى والوجهة الأخيرة لهذه الثقافة هي تحقيق معاني الربوبية للخالق، والحصول على مرضاته ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلْقِيهِ﴾ [الانشقاق: ٦]، ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢].

من هنا فكل ما يقوم به المسلم من عبادات أو يطبقه من تشريعات ومعاملات وأخلاق؛ إنما هو لتقرير وتعميق معنى التوحيد في النفوس وإخلاص العبادة لله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

ب- التوازن: بما أن طبيعة الإسلام الذي هو مصدر الثقافة الإسلامية التوازن والتوسط؛ فقد جاءت هذه الثقافة لتحقيق أعلى درجات التوازن، فوازنت بين المادة والروح، وبين العلم والإيمان، وبين العقل والوجدان، دون أن يطغى أحدهما على الآخر، كما وازنت بين سلطة الحاكم وسلطة الأمة، وبين الملكية الجماعية والفردية، وحافظت على مفهوم التكامل الجامع.

ج- الإنسانية: قائمة على حقيقة أن الإنسان مخلوق مكرم على سائر المخلوقات، مستخلف في هذه الأرض، مُسَخَّر له كل ما فيها، وأن الناس متساوون، ومعيار تفاضلهم هو العمل لا شيء غير ه، وهو ما جعلها ثقافة تستوعب الإنسانية جمعاء، لا تفرق بين جنس ولا لون ولا عرق.

د- الشمول: فهي تغطي كل جوانب الحياة، شملت آباد الزمن، وانتظمت آفاق الأمم، واستوعبت شؤون الدنيا والآخرة، غير محدودة بعصر ولا جيل، ولا بمكان ولا أمة، ولا بشعب ولا طبقة.

ولاشك في أن ثقافة تمتلك هذه الخصائص وغيرها؛ جديرة بأن تسود العالم وأن تحقق العالمية، فكيف يمكنها تحقيق ذلك؟ وما هي مقوماته؟

٢- مقومات عالمية الثقافة الإسلامية

تعدد مقومات عالمية الثقافة الإسلامية وتنوع، فمنها ما يتعلق بعالمية الإسلام مرتكز هذه الثقافة وأساسها، ومنها ما يعود إلى الكم الهائل الذي يشكله المنتسبون لهذه الثقافة اليوم (ربع سكان العالم تقريباً) وتوزعهم في

مختلف أنحاء العالم وكل الأجناس والألوان والشعوب، كما أن قدرة هذه الثقافة على استيعاب الثقافات الأخرى - والتي جسدتها بشكل رائع تجربة الحضارة الإسلامية في عصورها التاريخية المختلفة حيث انصهرت فيها ثقافات عديدة آسيوية وإفريقية وأوروبية - تمثل هي الأخرى مقوماً من مقومات عالمية الثقافة الإسلامية، ومن أبرز نماذج هذه المقومات:

أ- عالمية الإسلام:

فالمقوم الأول والمرتكز الأساس الذي تركز عليه عالمية الثقافة الإسلامية هو عالمية الإسلام الذي هو مصدر هذه الثقافة ومنبعها الأصيل، وهو ما نجد التعبير المركز عنه في العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية؛ مثل قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ: ٢٨]، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقال النبي ﷺ: «كان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبُعث إلى الناس كافة»^(١).

انطلاقاً من هذه النصوص وغيرها؛ يبدو أن عالمية الإسلام أمر من صميم هذا الدين، وصفة مركوزة فيه، فهو دين عالمي لا يعترف بالمحلية أو الإقليمية أو القومية أو الجنس، ولا تحده الحدود ولا الأمم والشعوب، جاء لهداية البشرية جمعاء، وهو ما تجسّد في القرآن في كثير من الآيات (حدود مائتين آية) للناس كافة، كقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾، وقوله تعالى: ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ ﴾ [النساء: ١]، إلى غير

(١) رواه البخاري، (كتاب الصلاة، باب قول النبي ﷺ: جُعِلت لي الأرض)، رقم (٤٣٨)، ومسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة)، رقم (٥٢٣).

ذلك من الآيات الكثيرة التي ورد فيها الخطاب موجهاً للناس جميعاً أو للعالمين، وهو التعبير القرآني الأكثر دلالة على عالمية هذه الرسالة ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

كما تجسدت عالمية الإسلام كذلك في الهجرة إلى الحبشة خارج جزيرة العرب، وفي كتابات الرسول ﷺ إلى أمراء وملوك عصره، وفي تعايش كل من صهيب الرومي وسلمان الفارسي وعمر القرشي جنباً إلى جنب. كل ذلك يؤكد عالمية هذا الدين الذي هو مصدر الثقافة الإسلامية ومرتكزها الأول.

ب - حجم المنتسبين للثقافة الإسلامية اليوم:

من مقومات عالمية الثقافة الإسلامية كذلك: الوزن الديموغرافي والاستراتيجي الذي يشكله المنتسبون لهذه الثقافة اليوم، وتوزعهم في جميع أنحاء العالم، وقدرتهم الفائقة على الاستقطاب والانتشار بحكم جاذبية الإسلام الذي هو في عصرنا أكثر الديانات انتشاراً بين الناس رغم المؤامرات التي تحاك ضده.

فالمسلمون اليوم يعيشون في أكثر من ١٢٠ مجتمعاً بشرياً، و(٥٤ دولة)، وعددهم يناهز ١٦٠٠ مليوناً؛ أي ما يزيد على ٢٣٪ من عدد سكان العالم^(١).

ولا يقتصر الأمر على الوزن الديموغرافي للمنتسبين لهذه الثقافة؛ وإنما يعزز ذلك: المكانة الاستراتيجية التي يحتلها العالم الإسلامي، والتي جعلته هدفاً لأطماع القوى الكبرى، فضلاً عن تشبث المنتسبين لهذه الثقافة بها

(١) انظر: العولمة أرقام وحقائق، لعبد سعيد عبد إسماعيل، ص ١٣٤.

وحرصهم على استخدام وسائل الاتصال الحديثة وتكنولوجيا المعلومات المختلفة - وهي بالمناسبة تمثل مظهراً من مظاهر العولمة - وتوجيه استثمارات معتبرة إلى المجال السمعي البصري ممثلاً في القنوات التلفزيونية ومواقع الويب والبرامج الإلكترونية، وتقديم الصورة المثلى للثقافة الإسلامية، ونشرها يمثل هو الآخر عنصر قوة لهذه الثقافة.

ولعل ذلك هو ما جعل صموئيل هنتنجتون ينبه إلى خطورة اقتناع المسلمين بتفوق ثقافتهم واعتبار ذلك هو التحدي الكبير الذي تواجهه الثقافة الغربية اليوم^(١)، وأن معالجة هذه المشكلة يقتضي تذويب هذا الانتماء ومسح الشخصية المستقلة التي تميز المسلم عن غيره.

ج- القدرة على استيعاب الثقافات الأخرى:

من عوامل قوة الثقافة الإسلامية ومقومات عالميتها كذلك: قدرتها الفائقة على استيعاب الثقافات الأخرى والتعاطي الإيجابي معها؛ سواء القديمة منها والمعاصرة، ففي القديم يلاحظ أن الثقافة الإسلامية تمكنت من استيعاب ثقافات عديدة آسيوية (فارس - تركيا - والهند) وأوروبية (اليونان - الأندلس - وصقلية) وأفريقية، وصهرتها في بوتقة واحدة، وشعت فيها روح الإسلام وقيمه وتعاليمه، على أرضية من التعايش والاندماج والاحترام المتبادل قلّ نظيرها في التاريخ.

ومن الأمثلة الدالة على احترام المسلمين للثقافات الأخرى - على النقيض من العولمة - احتفاظ الأقليات غير المسلمة في بلاد المسلمين بخصوصيتهم الثقافية؛ بما فيها احتفاظهم بدينهم ومعتقداتهم كما حصل للنصارى في الشام

(١) انظر: العولمة الغربية والصحة الإسلامية، ص ٤٠.

ومصر والأندلس وتركيا؛ الذين احتفظوا بهويتهم الثقافية المستقلة رغم مرور القرون المتوالية تحت حكم الدول المسلمة، وتعايشوا مع المسلمين في سلام وأمان، متأخين مترابطين على أساس مبادئ الكرامة الإنسانية والمساواة والحرية.

ومع أن الثقافة الإسلامية استفادت كثيراً من الثقافات الأخرى التي عايشتها واستوعبتها؛ إلا أنها أفادت هي الأخرى أمماً وشعوباً كانت تعيش في عصور الظلام والتخبط والجهل. وخير شاهد على ذلك: ما قدمته الثقافة الإسلامية للثقافة الأوروبية، والذي نترك الحديث عنه للأوروبيين أنفسهم، فتقول زيغريد هونكه: «في لغتنا كلمات عربية عديدة، وإنما لندين - والتاريخ يشهد على ذلك - في كثير من أسباب الحياة الحاضرة للعرب»^(١).

وتقول: «أردتُ أن أكرم العبقرية العربية، وأن أُتيح لمواطنيَّ فرصة العودة إلى تكريمها، كما أردتُ أن أقدم للعرب الشكر على فضلهم الذي حرّمهم من سماعه طويلاً تعصب دينيٍّ أعمى أو جهل أحق»^(٢).

ويقول روجر بيكون: «حتى الآن يشكر علماء الطبيعة في أوروبا العربَ على إدخال طريقة التجربة العلمية التي دلت على التطور الحديث في جميع الميادين»^(٣).

وفي العصر الحديث بعد أن حققت الحضارة الغربية انجازات كبيرة في طريق التقدم والرقي، في الوقت الذي بقيت فيه الحضارة الإسلامية تراوح

(١) زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب أثر الحضارة العربية في أوروبا، ترجمة: فاروق بيضون وكمال دسوقي.

(٢) المرجع السابق ص: ٩.

(٣) تأثير الفلسفة الإسلامية في تطور الفكر الأوروبي، ٨-٩.

مكانها وخضع المسلمون فيه لهيمنة الغرب و سطوته واستغلاله؛ لم يمنع ذلك المسلمين من الاستفادة من الجوانب الإيجابية في الثقافة الغربية، يقول الشنقيطي: «الاستقراء التام القطعي دلّ على أن الحضارة الغربية المذكورة تشتمل على نافع وضار: أما النافع فهو... تقدّمها في جميع الميادين المادية... فقد خدمت الإنسان خدمات هائلة من حيث الجسد، وأما الضار: فهو إهمالها بالكلية للناحية التي هي رأس كل خير، ولا خير البتة في الدنيا بدونها، وهي التربية الروحية للإنسان وتهذيب أخلاقه، وذلك لا يكون إلا بنور الوحي السماوي، الذي يوضح للإنسان طريق السعادة»^(١).

و يقرر محمد الأمين الشنقيطي: «أن الموقف الطبيعي للإسلام من الحضارة الغربية؛ هو أن يجتهدوا في تحصيل ما أنتجته من النواحي المادية، ويحذروا مما جنته من التمرد على خالق الكون جل وعلا، فتصلح لهم الدنيا والآخرة، ومن المؤسف أن أغلبهم يعكسون القضية فيأخذون منها الانحطاط الأخلاقي، والانسلاخ من الدين، والتباعد من طاعة خالق الكون، ولا يحصلون على نتيجة مما فيها من النفع المادي، فخسروا الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين»^(٢).

وفي الختام؛ نخلص إلى القول إن الثقافة الإسلامية بحكم ما تمتلكه من مقومات وما تمتاز به من خصائص؛ هي وحدها القادرة على قيادة العالم وسيادته، بوصفها ثقافة عالمية قادرة على استيعاب الثقافات الأخرى مع احترام خصوصياتها والرفع بها إلى المستوى العالمي، لا تقويضها والإجهاز عليها كما

(١) محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان، ٣/ ٥٠٤ - ٥٠٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٥٠٧.

تريد العولمة، وقد سبق لها أن حققت الريادة في الماضي في زمن كانت فيه الأمة تمتلك زمام المبادرة وتتوفر على مقومات القوة والمنعة، وهي قادرة اليوم إذا توفرت لها الشروط المناسبة أن تستعيد دورها ومكانتها.

ولتحقيق ذلك؛ يلزم وضع استراتيجية متكاملة للنهوض بالثقافة الإسلامية، تأخذ بعين الاعتبار كل الأبعاد والمستويات، وتوظف فيها كل الطاقات والخبرات، وتحدد فيها الأهداف والوسائل، وتوفر لها الإمكانيات الضرورية، ويكون على رأس أولوياتها: توظيف ما يتيح عصر العولمة من أدوات ووسائل اتصال، وما تقدمه تكنولوجيا المعلومات واقتصاد المعرفة من فرص؛ لإنتاج ونشر ثقافة إسلامية عالمية المحتوى والمضمون، معولمة الوسائل والأدوات.

مراجع البحث

- التويجري، عبد العزيز بن عثمان، «الهوية والعولمة من منظور حق التنوع الثقافي»، رسالة التقريب، الدورة السادسة، المحرم - ربيع الأول ١٤٢٠ هجرية - ١٩٩٩ م، العدد ٢٣.
- الرميحي، محمد، «واقع الثقافة ومستقبلها في الخليج العربي»، المستقبل العربي، العدد ٤٩، مارس ١٩٨٣.
- زيغريد هونكه، «شمس العرب تسطع على الغرب» «أثر الحضارة العربية في أوروبا»، ترجمة: فاروق بيضون وكمال دسوقي، دار الجيل، بيروت ١٩٩٣.
- القمي، محمد تقي، «وحدة المسلمين حول الثقافة الإسلامية»، رسالة الإسلام، السنة الأولى، ربيع الأول ١٣٦٨ هـ، يناير ١٩٤٩ م، العدد الأول.
- مجمع اللغة العربية، «المعجم الفلسفي»، القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ١٩٧٩.
- مجموعة من الكُتَّاب، «نظرية الثقافة»، ترجمة: علي سيد الصاوي، سلسلة عالم المعرفة، يوليو ١٩٩٧.
- محفوظ عزام، «نظرات في الثقافة الإسلامية».
- صالح هندي، «دراسات في الثقافة الإسلامية».
- عبد الصبور شاهين، «العولمة جريمة تذيب الأصالة»، المعرفة، العدد (٤٨).

- العظم، صادق جلال: «ما هي العولمة؟»، بحث مقدم للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٩٦م.
- عمرو عبد الكريم، «العولمة: عالم ثالث على أبواب قرن جديد»، المنار الجديد.
- السيد ياسين، «في مفهوم العولمة».
- عبد الله أحمد أبو راشد، «العولمة والنظام العالمي والشرق أوسطية».
- حسن نافعة «العرب واليونسكو».
- محمد عابد الجابري، العولمة والهوية الثقافية ل مقال منشور بمجلة المستقبل العربي العدد ٢٢٨.